الملائكة والزمن والإنسان!!!

دكتور فلاح نجم العاني

استاذ في كلية الإمام الأعظم

ديوان الوقف السني - مسؤول الإعجاز العلمي

في ليلة شاتية طويلة، طوى الذهن الأيام الطوال من عمر مضى، مزدحم بالأحداث: آمال تتحقق، رغبات تتبدد، رفاق وأحباب يتخطفهم الموت، مواليد جديدة تحمل أمل الحياة... وهكذا تتلون الحياة: فقر بعد غنى، وغنى من بعد فقر، صحة من بعد مرض، ومرض من بعد صحة، ظلم هنا وفقر هناك، وتطوينا الأيام كما طوت من قبلنا... ما هذه الحياة؟؟ وما الإنسان فيها؟؟

يبين لنا الإعجاز البياني في زمن نفتقد إلى روحانيات إيمانية، في ثنايا آيات نورانية نرى الملائكة كانت قلقلة على مستقبل الإنسان على سطح هذه الأرض حين قالت: **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** (البقرة: ٣٠).

وكان الجواب من العلي الأعلى: **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** (البقرة: ٣٠).

ويوجه الله تعالى الإنسان ويذكره بحقائق غالية من شأنها أن توقظ الإنسان من غفلته، هذه العلاقة القديمة الوثيقة قبل خلق الإنسان.

كثيراً من عامة الناس وحتى من أهل العلم ما يعرفون عن الملائكة إلا قضية الاستخلاف وملائكة كاتبين يكتبون أعمالنا!! وماذا بعد!!.

أما أنت أيها الإنسان؛ فهل فكرت في دور الملائكة بحياتك وأنت جنين في الرحم؟، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(وكل الله بالرحم مَلكا، فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة؛ فإذا أراد الله أن يقضى خلقها، قال: أي رب ذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه)**، رواه البخاري.

وتستمر العلاقة في أطوار الحياة المختلفة حيث يتم حراستهم لابن آدم قال تعالى: **سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** (الرعد: ١٠-١١).

وقد بين ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنه أن المعقبات من الله هم الملائكة جعلهم الله ليحفظوا الإنسان من أمامه ومن ورائه فإذا جاء قدر الله الذي قدر أن يصل إليه خلوا عنه.

فهناك ملكان مع كل إنسان، سواء كان مؤمنًا أو كان كافرًا، وأحد الملكين عن يمين الإنسان، ويكتب ما يفعله الإنسان من خير، والملك الثاني عن شمال الإنسان ويكتب ما يعمله الإنسان من شر، يقول الله عز وجل: **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** (ق ١٦-١٨).

وفي الآخرة يدخلون على المؤمنين في جنات عدن من كل باب لتهنئتهم بدخول الجنة، نجد هنا اختيار الله سبحانه وتعالى بالتذكير الملائكة بخطوط تعبيرية في القرآن الكريم؛ لأن وقع الفعل بعد تذكير الملائكة، وأيضا كل فعل عبادة يأتي بالتذكير حيث قال جل وعلاه: **فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ** (الحجر: ٣٠)، لا يعصون الله ما أمرهم؛ لأن المذكر في العبادة أكمل من عبادة الأنثى ولذلك جاء الرسل رجالا.

يبين ربنا تعالى: **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** (البقرة: ١٧٧)، في هذه الآية الكريمة ذكّرهم الله تعالى بعد نفسه في الإيمان وأتى بصيغة التأنيث كيف؟! لم تأت بشرى بصيغة التذكير أبدًا في القرآن الكريم؛ فكل بشارة في القرآن الكريم تأتي بصيغة التأنيث. كانت هذه الالتفاتة من لمسات البيانية القرآنية.

الملائكة تحضر الميزان يوم القيامة، فعن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ويوضع الصراط مثل حد الموسي، فتقول**

الملائكة: من تجز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي؛ فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك)، رواه الحاكم، وقال صحيح.

إن أعمارنا يكتبها المَلك بأمر الله تعالى قبل أن نلد، وكذلك أرزاقنا ولعلها حكمة من الله سبحانه وتعالى مفادها أن لا نقلق كثيراً بشأن أحدهما !! فأكثر ما يشغل بالنا هما **الرزق والأجل**، وهما مكتوبان، لن ننال كسرة خبز أقل مما كتب لنا، ولن نعيش ثانية أطول أو أقصر مما كتب لنا.

ولنا وقفة تدبر وتعلم من قصص الملائكة مع الإنسان:

قال تعالى: **نَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ** (آل عمران: ٣٩).

تخيرت الملائكة أشرف حلاته وهو يؤدي صلاته؛ فبشرته ببشارة الله التي كان ينتظرها... الصلاة وقت رحمة وبشارة... وهل عرفت الآن مكان الهبات؟!

قال تعالى: **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا** (البقرة: ٣٠).

استعظمت الملائكة الإفساد لبعد عنه؛ وكذلك تجد الطائع يستعظم الصغائر؛ والفاسق تهون عنده الكبائر... فخذ من صفات الملائكة ما تنجو به عند ربك في يوم تقول أين المفر؟.

قال تعالى: **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** (النحل: ٣٢).

الطيب معهم حتى لحظة الوفاة... من عاش طيباً توفاه الله طيباً.

وقوله تعالى: **وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ** (الرعد: ٢٣).

لا يتخيل أن هناك مشهداً يُصور فرحة أهل الجنة مثل دخول الملائكة عليهم؛ ليهنئوهم بهذا الفوز، وهذه الفرحة: **سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** (الرعد: ٢٤). تلك العاقبة هي جنات عدن يقيمون فيها لا يزلون عنها ومعهم الصالحون من الآباء والزوجات والذريات من الذكور والإناث.

وقوله جل وعلاه: **بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ** (آل عمران: ١٢٥).

بالصبر والتقوى يقلب الله المحن الى منح.

وهناك الكثير الكثير في علاقة الملائكة مع الإنسان وأثرهم مع حياتنا...

وأخيراً...

يمكنك أن تطعم طيراً، أن تحسن لضعيف، أن تزرع ابتسامة بدون أن توثق ذلك، أو تذكره لأحد...

لا تُفقدِ السماء صوتك... كن عبداً إذا دعا، تعرفه الملائكة فتقول: يا رب صوتاً معروفًا من عبد معروف...

سددوا فواتير العافية... "يكفي توثيق الملائكة".

فما أجمل صلة الملائكة بالإنسان على مر الزمن...

اللهم بنور رسول الله صلى الله عليه وسلم نوّر قلوبنا، وببركته أحسن ختامنا (آمين).